٣ أسرار غمام ديلمون



دار الكتب العلمية

أسرار غمام ديلمون

في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، نُكِبت إحدى المدن العامرة بالفساد، فانعدمت الثّقة بين النّاس، وحلَّ الكذب والنّفاق والاحتيال مكان الصّدق والاستقامة، وتسلّط الأشرار على الشّرفاء وراحوا يسومونهم شتّى أنواع العذاب، ويفرضون عليهم الإتاوات، حتى أُطلق عليها اسم «مدينة الفساد».

ضجَّ الناس وثاروا على سوء الأحوال وتفشّي السّرقات والجريمة، وتوجّهوا نحو قصر الملك ليرفعوا ظلامتَهم إليه، وخرج وفدٌ منهم إلى الملك وقال له:

- أيّها الملك العظيم، لقد ساءت الأحوال في البلاد، وصار ضروريّاً أن يوضع حدٌّ للفساد واضطراب الأمن لينعم المواطنون بالأمن والطمأنينة، وتدور عجلات الحياة الطبيعية فينطلق النّاس إلى أعمالهم ويعمّ البلادَ الخيرُ والازدهار.

أجاب الملك بعدم اكتراث وقال:

- وكيف يكون ذلك؟ أنا، كما ترون، عاجزٌ عن تدبير شؤون حاشيتي وقصري.. فكيف لي بكلّ شؤون البلاد وقد استشرى فيها الفسادُ من

أقصاها إلى أقصاها؟!.. ابحثوا في مكان آخر عن حلٍّ لمعضلتكم..

عاد الوفد خائباً من عند الملك العاجز، وقد انتابه الأسىٰ، وفجأةً هتف أحدهم وقال:

- لماذا لا نتوجّه إلى حكيمنا نسأله مشورةً تفيدنا وتنقذنا من الحال المُزرية التي نُكِبْنا بها؟

رحّب الوفدُ بالفكرة الواعدة، فاتّجهوا صوبَ صومعة الحكيم حتى صاروا في حضرته، فدُهش الحكيم واختلط الأمرُ عليه، فسألهم قائلاً:

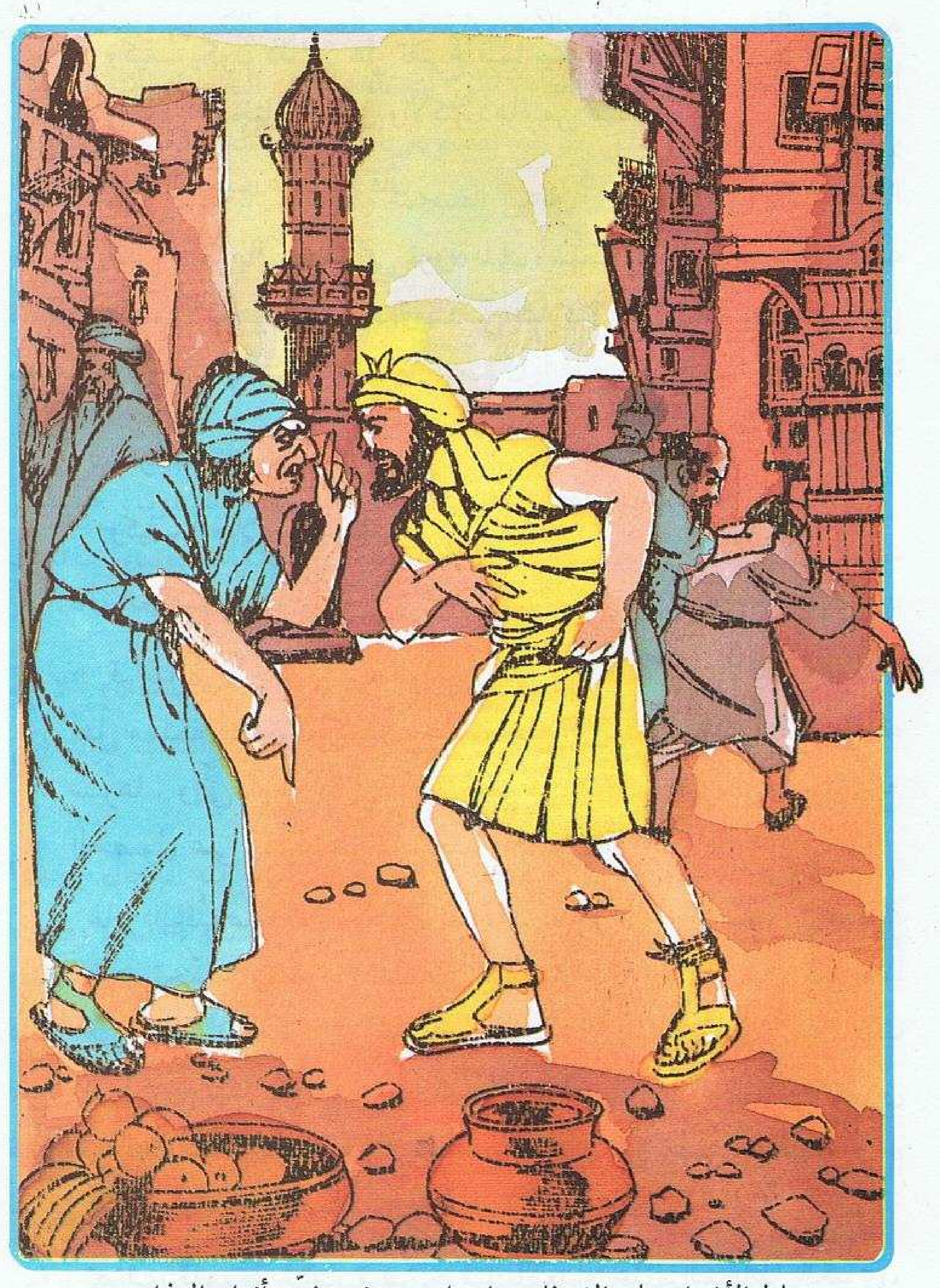
- عسى خيراً.. ما دفَعَكم للحضور إليّ هكذا فجأةً، فمنذ زمنٍ بعيد لم يطرق بابي أحد؟!..

قال الوفد:

- يا حكيمَنا الجليل، جئنا إليك بعد أن وصلت الحال إلى درجة لا تُطاق، فقد عمَّ الفسادُ البلادَ، وساءت أحوالُ العباد، نسألك عن حلٍّ ينقذنا ممّا نتخبّط فيه!... وقد عجزَ ملكُنا وشاخَ وصار لا يصلح للحكم.

قال الحكيم:

- الأمر ليس بالصّعوبة التي تتصوّرون. فما دام الملك عجوزاً وليس أهلاً لإدارة شؤون البلاد، عليكم أن تختاروا خلَفاً له من الذين يملكون الشّجاعة والحكمة والتواضع، وتشدّوا من أزره حتى تستقيم الأحوال.



تسلط الأشرار على الشرفاء وراحوا يسومونهم شتّى أنواع العذاب .

قال الوفد:

- وكيف يكون ذلك؟ هل نقترعُ فيما بيننا ونُبايعُ مَنْ نالَ الأغلبيّة من أصواتنا، أم نختار الأقوى والأكثر دهاءً من بيننا؟

ضحك الحكيم عالياً ثمّ قال:

- ليس الأمرُ بالسّهولة التي ترون. إنّ أشدَّكم قوّةً الآن هو أظْلَمُكم، وأدهاكُم الآن هو أفْسَدُكم، ومستقبلُ البلاد لا يمكن أن يُصانَ في مثل هذه الأحوال باختيار الفاسدين!...

قال الوفد:

- وكيف الخلاصُ إذن؟

قال الحكيم:

- قرأتُ في أحد الكتب القديمة التي توارثناها من الأقدمين، بأنّ أهلَ مملكة «ديلمون» شعبٌ خالدٌ، على أرضه تنبتُ السّعادة، وعنده سرُّها. وإنّي أرى أنّ أوفَركم حظّاً في الحكم هو الذي يستطيع الحصول على أسرار سعادة شعب «ديلمون».

غادر الوفدُ صومعةَ الحكيم وقد عقد العزم على البحث عن مملكة «ديلمون». تحمّسَ رهطٌ من الشّباب وتوزّعوا على مختلف الدُّروب بحثاً عن أرض «ديلمون»، وكلّ واحد منهم صادقٌ في سعيه. منهم من سلكَ طريق البراري والقِفار، ومنهم من ركب البحرَ إلى الجزر النّائية، ومنهم من توغّل في الغابات البِكْر المحيطة بالمملكة... ولكنّ جهودَهم المُضنية لم تُكلَّل بالنّجاح وعادوا خائبين.

تصدّىٰ للمهمّة شابٌّ شهمٌ عُرِفَ بالإقدام على المخاطر الكبرى،

وبالشّجاعة في مجابهة الأهوال، اسمه «صَدّ». فسلك الطريقَ الأكثرَ صعوبةً والذي خشيَ طَرْقَه الآخرون. فعبرَ الصحراء الكبرى متحمِّلاً حرَّ الشّمس المُحرقة ونُدْرَةَ الماء، إلى أن بلغ أرضَ المستنقعات الآسِنة والأدغالَ المظلمة، فشقَّ طريقَه بصعوبة بالغة عبر سُدود فروع الأشجار المتشابكة، ووسط فحيح الأفاعي الضخمة وأصوات الوحوش الكاسرة غير هَيَّابٍ ولا وَجِلٍ، مُوصِلاً نهارَه بليله، حتى انفرجت الأدغالُ عن مرج تقبع في وسطه قريةٌ صغيرةٌ ذات أكواخٍ متواضعة تُزيّنها قِبابٌ جميلةٌ. ولشدّة تعبه وإرهاقه استلقى في ظلّ أوّل شجرة بلغها وأغفى، واستغرقَ في سُباتٍ عميق.

استيقظ «صدٌّ» بعد حين، فوجد أمامه أشخاصاً يبتسمون، فاستبشر خيراً. ولكنه دُهش عندما وجد أقدامهم غائصةً في غُمَيْمَاتٍ بيضاء. تقدّمتِ الجماعة منه وقال أحدهم:

– أهلاً وسهلاً بك أيّها الشّاب الغريب على أرض «ديلمون». لا بدّ أنّك واجهتَ صعاباً، وقاسيتَ المشاقّ حتى أنهك التّعبُ قواكَ إلى هذا الحدّ فغرقتَ ساعاتٍ طوالاً في النوم العميق.

مَنعتِ الدّهشةُ الفتى «صدّ» من الكلام... فتقدّم منه الرّجال وأخذوا بيده، وبعد أن أطعموه حتّى شبع وسقوه حتى ارتوى، سأله أحدُهم وقال:

– من أنتَ أيّها الشّاب، ومن أين قدِمتَ، وما الغايةُ التي أَوصلَتْكَ إلى هَهُنا؟

فنهضَ «صدّ» وقصَّ عليهم قصّته، وشرح لهم غايَته، فردّوا عليه قائلين:

– إنّنا نقدرُ شجاعَتَك وشهامتَكَ وقوّة شَكِيمَتِك، فأنت قد بلغتَ أرضَ

«ديلمون»، ولكنّ السرَّ الذي تبغي الحصولَ عليه إنّما يملكه سيِّدُ مجلسنا وحدَه، وهو يقيم في قصره في عاصمة البلاد.

ومضى الرّجال حتّى تواروا عن الأنظار. وبعد حين أطلّتْ على «صدّ» فتاةُ حسناءُ يزيّنُ رأسَها تاجٌ مُرصَّعٌ بالجواهر واليواقيت، وكانت قدماها تغرقان في غمامٍ أبيض، فأومأت إلى «صدّ» بأن يتبعها، ولكنّه هتف وقال:

- يا سيّدتي؛ ما لي أرى الغمامَ يُغرِق أقدامَ الجميع في هذه البلاد؟

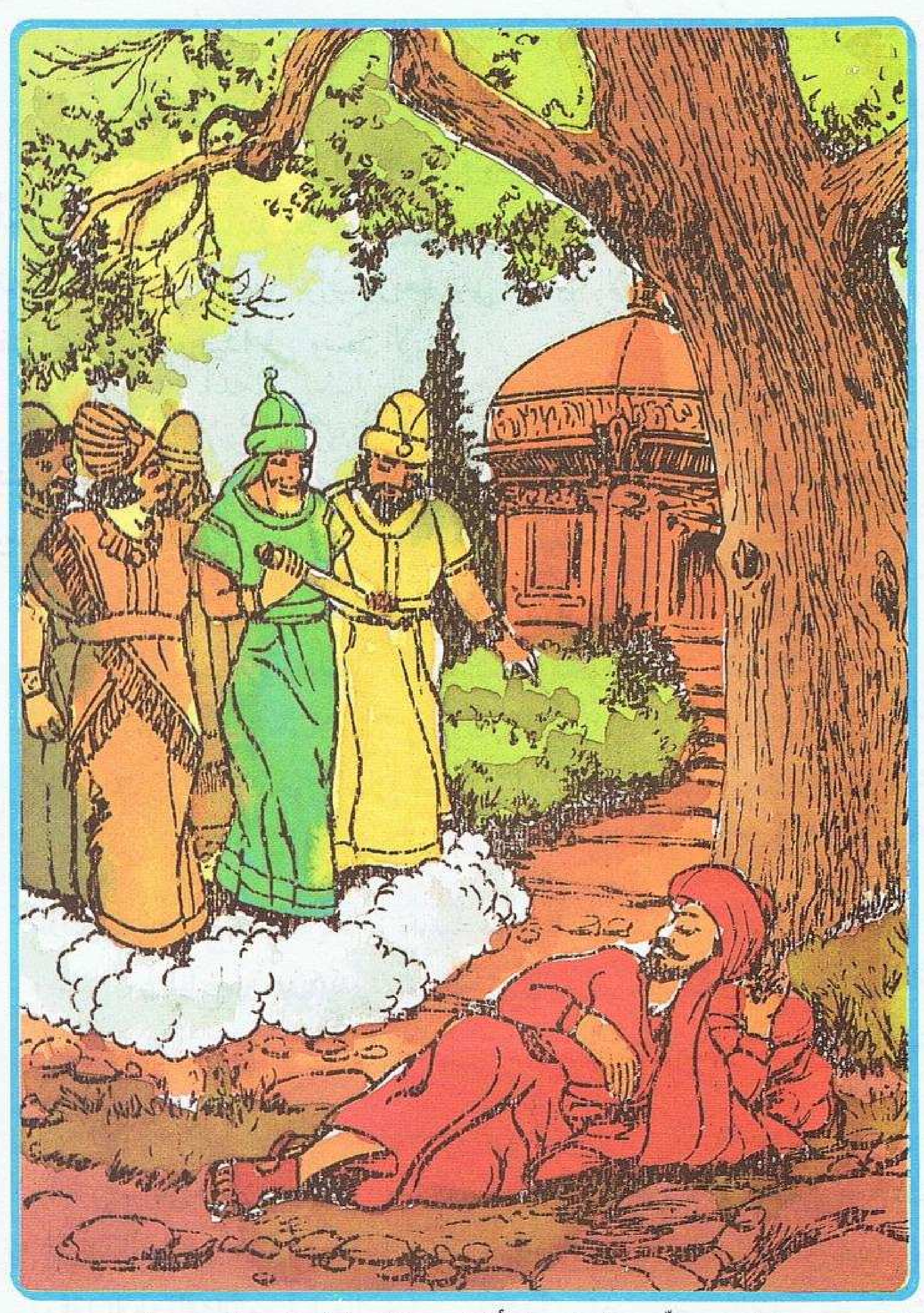
ابتسمتِ الفتاةُ ولم تَنْبُسْ بِبِنْتِ شَفَة. تبع «صدٌّ» الحسناءَ حتى أطلّا على مدينةٍ ذات قِبابٍ ذهبيّة عالية تتوهّج تحت أشعّة الشّمس، أمّا منازلُها فبيضاءُ جميلةٌ تحيطُ بأسوارها الأشجار وتتدلّى من شبابيكها الأزهارُ والرّياحين.

عبر «صدّ»، وهو يسير وراء الفتاة داخلَ المدينة، شوارعَ مُظَلَّلةً بأوراق النّارنج والزّيزفون وتصدح في أجوائها البلابل والطّيور، فأحسَّ كأنّه في حُلُمٍ لذيذ.

كانت المدينةُ هادئةً ونظيفةً، لا أثرَ للصَّخَب فيها. كان كلّ شيءٍ يتحرّك بهدوء والكلامُ يدور همساً بين سكّان المدينة.

أدهشَ «صدَّ» منظرُ واحدٍ من سكّان المدينة اختلف لونُ غَمامة قدميه عن الآخرين، إذ كانت سوداء بلون الفحم، فألَحَّ على الفتاة بالسّؤال عن السرّ فردّت همساً وقالت:

- إنّ الغمامات التي تُحيط بأقدامنا نحن أهلَ «ديلمون» إنّما هي سرُّ سعادتِنا وفرحِنا واطمئناننا، لأنّ لونَ الغمامة يكشف سَريرةَ صاحبها. فالغمامات البيضُ تعكسُ نقاءَ نفوس أصحابها، وأمّا الغمامات السُّود



دهش « صدّ » عندما وجد أقدامهم غائصة في غميمات بيضاء .

التي ترى فدليلٌ على سوء النّية، ويظلُّ الرّجلُ مُعلَّماً منعزلاً، كما ترى، حتى يُصلحَ من ذات نفسه ويستقيمَ فتبيضَ غمامتُه ويتساوى مع الآخرين فيُرضى عنه.

ثمّ قادته الفتاة عبر شوارع المدينة وميادينها حتى أدخلتْه قصراً مُنيفاً، وأَجلستْه على مقعد يتوسّط إيواناً كبيراً، ولم يكن في الإيوان سوى أربعة مقاعد بسيطة إلى جانب أبواب أربعة على جهات الإيوان الأربع. ثمّ غابت الفتاةُ تاركةً إيّاه وحيداً في وسط الإيوان.

وبعد حين، دلَفَ من الأبواب الأربعة أربعةُ رجالٍ في أزياءَ متشابهة، وغمامات، أقدامهم بيضاء إلّا واحدٌ منهم كان لونُ غمامته بألوان قوس قُزَح. جلس الرّجال بصمت، ثمّ قال أوّلُهم:

- بلَغَنا أيّها الغريب أنّك قدِمْتَ من بلادٍ بعيدةٍ وتجشّمتَ الصِّعابَ والأَخطارَ سعياً وراء أسرار سعادة شعبنا لتعود بها إلى قومك وتُصلحَ شأنَ النّاس في بلادك. وإنّ لنا شروطاً إنْ أنتَ نفّذْتَها فُزتَ بالصندوق الذي يحوي على أسرار «الديلمون». شَرْطي أنا أن تصنع لعبةً من ابتكارك تنال رضى أطفالنا.

وقال الثاني:

- وأنا شَرطي أن تعمل في حقلٍ يكون صاحبُه محتاجاً إلى عملك.

وقال الثالث:

- وأنا شَرطي أن تقفَ بنفسك على الحياة في «ديلمون». ويبقى الشّرط الرّابع وهو لسيّدنا الذي، كما ترى، يتمتّع بألوان قوس قُزَح، ألوان الحياة وأسرار الحكمة.

وأمّا الرّابع فقال:

- وأنا شَرطي أن تقرأ ما حوته مكتبتنا من مخطوطات.

وغاب الرّجال خلف الأبواب التي أتوا منها ولم يزيدوا على ذلك حرفاً واحداً.

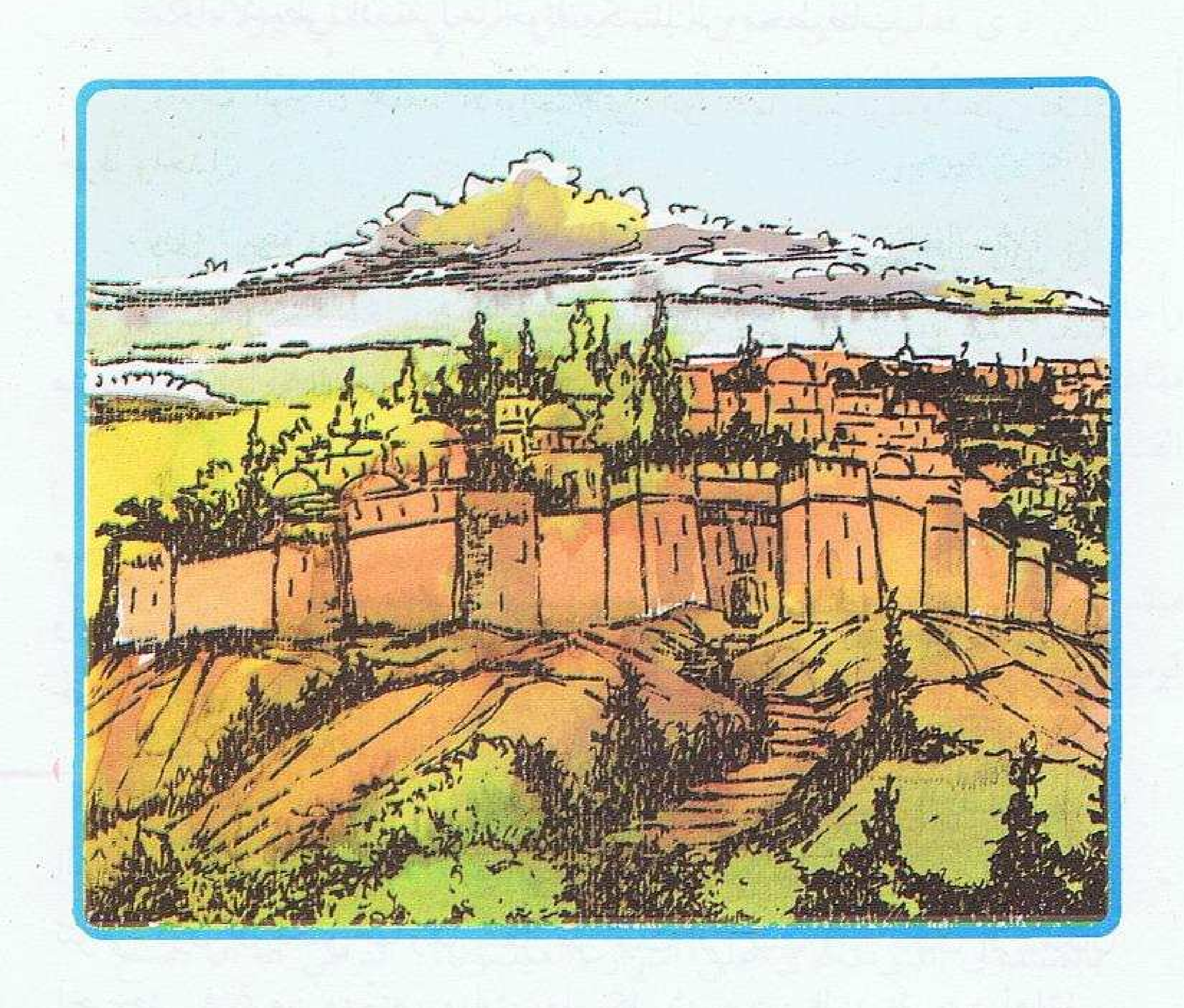
دخل «صدّ» حانوت نجّار واستأذنه لصنع لعبة للأطفال، فأَذِنَ له. فراح يرسم ويخطّط وينشر الخشب ويصقله حتى فرغ من صنع لعبةٍ مدهشةٍ، شهِدَ له النّجار بروعتها وبأنّها فعلاً تسرُّ كلَّ طفل وتسلّيه.

ثمّ انتقل إلى الشّرط الثاني وأخذ يسأل النّاس واحداً بعد آخر عن محتاجٍ يرغب في مساعدة، حتى اهتدى إلى أرملة مات زوجُها حديثاً وأَورثَها حقلاً وهي تجهل أمور الزراعة، فعمل في خدمتها حتى انتهى من حَرْثِ حقلها وبَذْرِه.

ثمّ مضى ليحقّق الشّرط الثالث، فطاف كلَّ أحياء المدينة يسأل النّاسَ جميعاً عن حياتهم وأعمالهم وشؤونهم وشجونهم. ومضت الأيام تتوالى دون أن يُحسّ بها وهو يتنقّل من بيت إلى بيت ومن مكان إلى مكان آخر-حتى فرِغ من مهمّته، وباتَ يعلم كلَّ شيء عن المدينة وعن أهلها.

وأخيراً توجّه إلى مكتبة المدينة ليحقّق الشّرط الرّابع، فراح يُطالع الكتبَ المُكدّسةَ على رفوفها ويلتهمُ صفحاتِها بنَهَمٍ، ويُوصِلُ ليلَه بنهاره حتى أتى على آخر مخطوطاتها.

أسرع «صدّ» إلى الإيوان وجلس على المقعد الذي في وسطه، وانتظر الرّجال الأربعة وهو يجول بناظريه بلهفةٍ على الأبواب الأربعة. ولم يطُل انتظاره حتى ظهر الرّجال وجلسوا على مقاعدهم وبدأوا بامتحانه كلٌّ وفقَ شرطه. فكان يجيب على أسئلتهم ببليغ العبارة وبالغ الهدوء. ولمّا

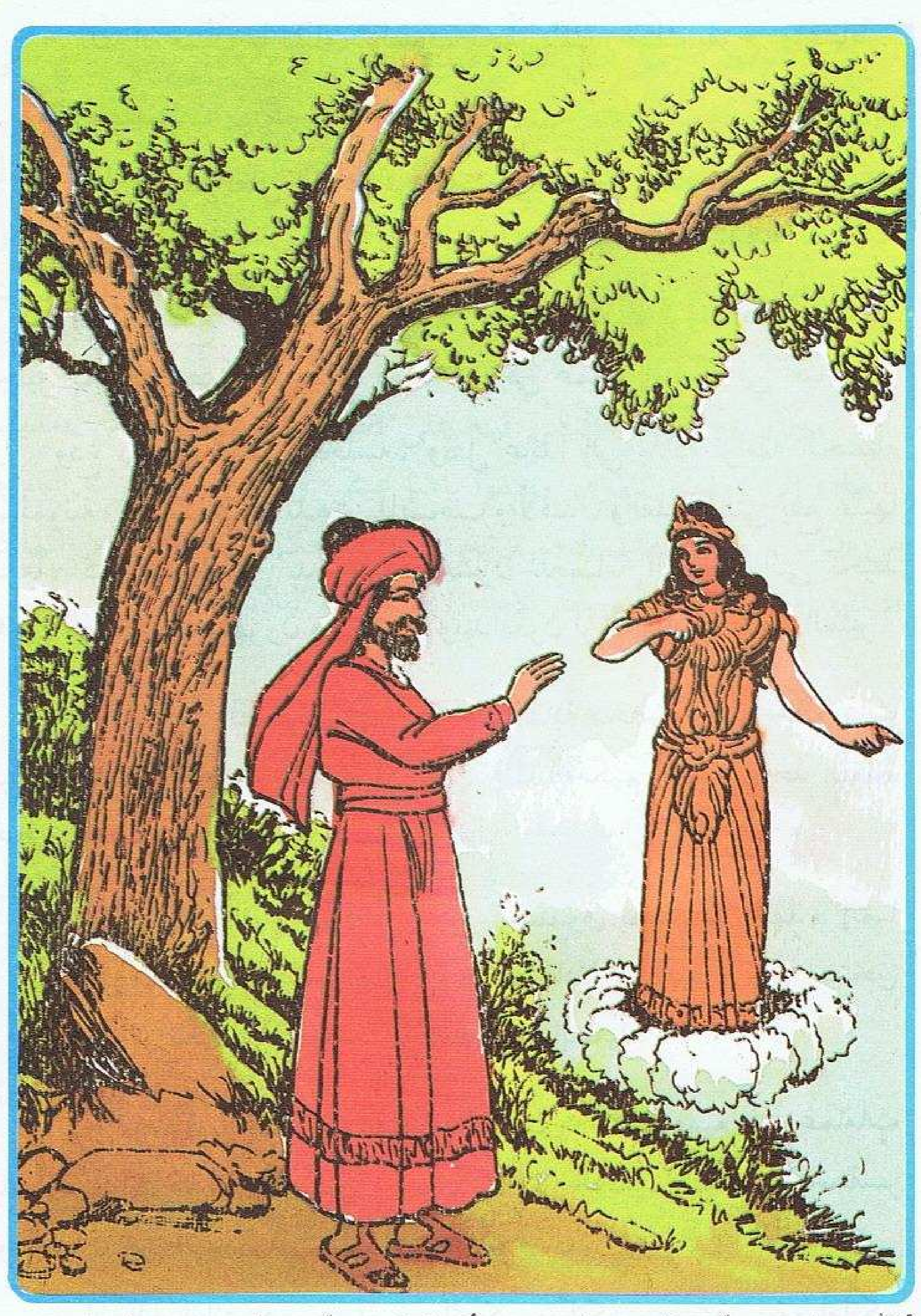


فرغوا من ذلك اجتمعوا وتَسَارُّوا، فغاب سيّدهُم وعاد يحملُ صندوقاً خشبيّاً صغيراً حُفرتْ عليه نقوشٌ بديعة، وناول «صدّ» الصندوق وقال:

- يا بنيّ، أنت الآن جديرٌ بالوقوف على أسرارنا وصَوْنِها. وهذا الصّندوق هديّتنا لك فلا تفتحه إلّا بعدما تبلغ بلدَك.

تناول «صدّ» الصندوقَ وشكر الرّجالَ وسألهم قائلاً:

- يا سادتي الأَخيار، هل أطمعُ في تلبية رغبةٍ لي شديدة الأهميّة؟!.



أطلت على « صدّ » فتاة حسناء يزين رأسها تاج مرصّع بالجواهر واليواقيت .

قال سيّدهم :

- لكَ أن تسألَ ما تشاء، ولسوف نحقّق لك رغبتَك بفرحٍ واغتباط.

قال «صدّ» :

- أملي أن ترافقني الفتاة التي كانت لي عوناً، لتساعدني في مهمّتي في بلدي!...

وافق الجميع على طلب «صدّ» وحضرت الفتاة فوراً، فأمرها السيّدُ الجليلُ بمرافقة «صدّ» إلى بلده ومساعدته في عمله وإسعاده في حياته.

ودّع «صدّ» السّيدَ ومجلسَه، وقفلَ عائداً إلى بلاده ترافقه الحسناء الديلمونيّة. وكانت الفتاة تدهش للصّخب والاقتتال والقذارة التي يقع عليها نظرُها، كما كان الناس بدورهم يدهشون للغمامة البيضاء التي تحيط بقدمي الفتاة، ويتجمهرون من خلفها ويتدافعون لرؤية هذا المشهد المثير.

فتحَ الحكيمُ الصندوقَ فوجد بداخله لُفافةً مخطوطةً على عصا ذات مقبضِ ذهب، مختومةً بالشّمع الأحمر. فكَّ الحكيمُ الشّمعَ وأخذ اللُّفافةَ وأعطى العصا لـ «صدّ»، وقرأ بصوت عالٍ :

- إنّ الإنسان الذي يحصل على الصندوق بجدارةٍ وجهدٍ، إنّما يتمتّع بصفات الملوك، وسيكون ملكاً عادلاً وشجاعاً، وهو يستحقّ احترامَنا، نحن مجلس مملكة «ديلمون» السعيدة.

لوَّحَ «صدّ» بالعصا في الفضاء، فغرقت أقدامُ الجميع في غماماتٍ يغلب على أكثرها اللونُ الأسودُ، سوى غمامتي الحكيم و«صد». فاستفسر الحاضرون عن السّبب في ذلك فردّ «صدّ» وقال:

- إنّ الغمامات هي مرآة ضمائركم ونيّاتكم. وستبقى غماماتُكم

سوداءَ إلى أن تكفّوا عن أعمال الشرّ وتفعلون الخير.

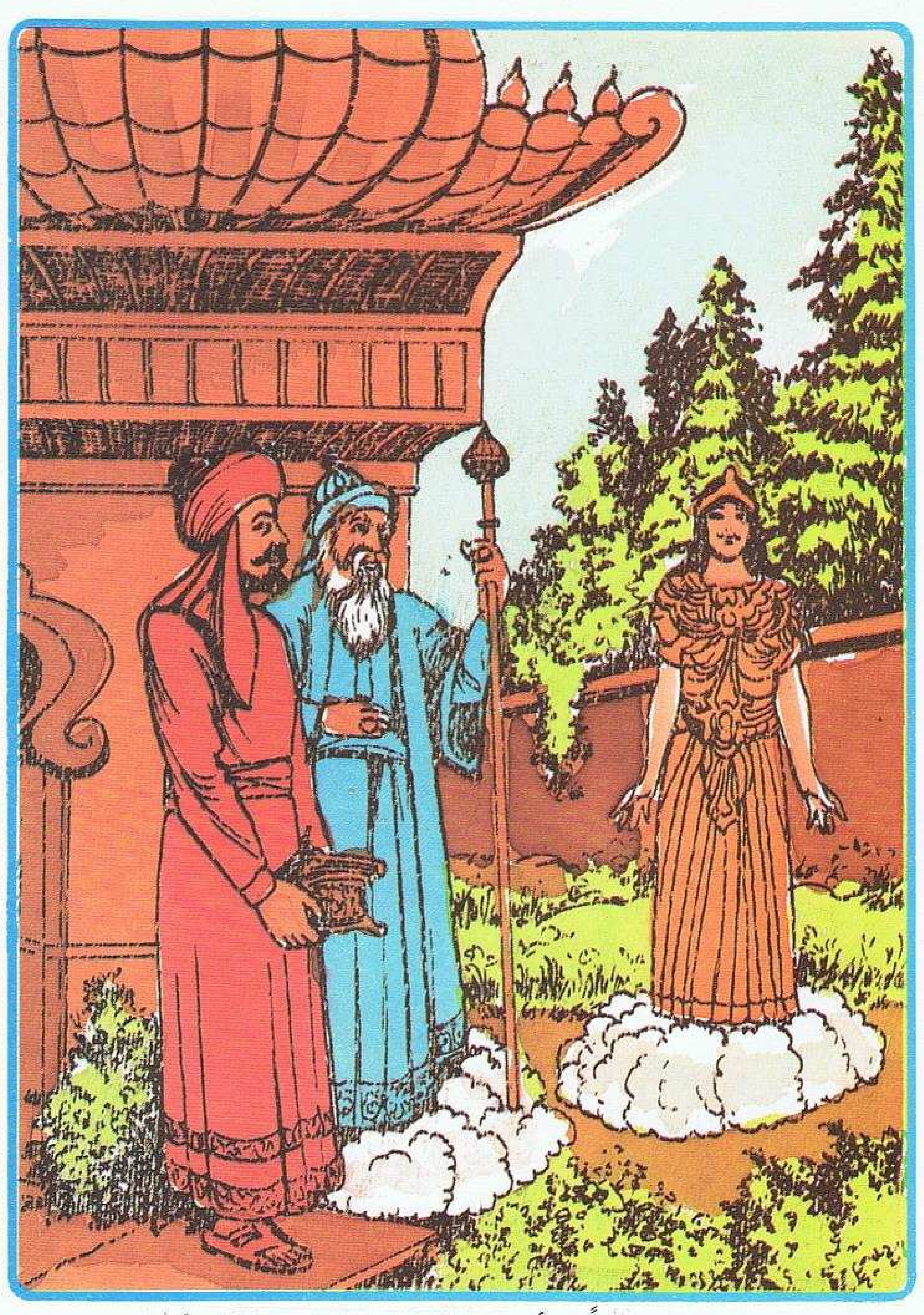
ولم يمضِ زمنٌ حتى كان «صدّ» ملكاً، وراح يعمل بجهد بالغ على تحسين الأوضاع، تساعده حسناءُ «ديلمون». وتجاوب عمومُ أفراد الشّعب مع الملك الجديد «صدّ»، واتّجهوا لأعمال الخير وتجنّب الأعمال الشرّيرة، فتطهّرت أنفسُهم من الفساد، وأخذت النّظافة طريقَها إلى كلّ المنازل والشّوارع، فاختفت رويداً رويداً الألوان السوداء من غمامات سكّان مدينة الفساد.

وجاء يومٌ أجمعَ النّاسُ فيه على تغيير اسم مدينتهم من «مدينة الفساد» إلى «مدينة النّور»، ونَعِموا بأهنأ عيشٍ وأرغدِهِ، وانتشرت المحبّةُ بين الناس، وساد العدلُ الجميعَ تحت رعاية وحكم الملك «صدّ» والملكة «ديلمونا»، وكثُرَ الخيرُ وسَعدَ الأطفالُ وازدهرت البلاد.

* * *



قادته الفتاة عبر شوارع المدينة وميادينها حتى أدخلته قصراً منيفاً .



حضرت الفتاة فوراً ، فأمرها السيد الجليل بمرافقة « صدّ » .

١ نابغة مملكة سبأ

٢ كنوز كهف الحكمة

٣ أسرار غمام ديلمون

٤ عندليب الغيب

٥ ملك اليمن السعيد

٦ أمير العمالقة

٧ السياف الدمشقي

٨ ملك بابل المهيب

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨١٥٥٧٣
هاتف وفاكس: ٠٠/١٢١٢٤٧٨١٣٧٣ 00/12124781373